م.د. رئام صاحب علي

Reaamsali90@uomustansiriyah.edu.iq

التأثير الطائفي على الواقع التعليمي في لبنان ١٩٤٣-١٩٥٨

بلغ توزيع المدارس الخاصة على الطوائف الكبرى خلال الفترة (١٩٤٥-١٩٤٦) وفق الجدول ادناه:

الطائفة	عدد المدارس
الطائفة المارونية	٣٩٧
الطائفة الارثوذكسية	١٣٤
الطائفة الكاثوليكية	١٢٧
الطائفة السنية	١٠٨
الطائفة الشيعية	٣٢
الطائفة الدرزية	٣١

فأخذت المدارس الرسمية تستقطب طلابها الذين كانوا غالبيتهم من الفئات المسلمة، الا ان هذه المدارس بقيت تعاني من التخلف عن المدارس الخاصة التي شكلت القسم الاكبر من عبء التعليم.

ويمكن ملاحظة توزيع حسب الطوائف الكبرى في المدارس الرسمية الابتدائية والتكميلية خلال الفترة الممتدة من (١٩٤٥-١٩٤٨) من الجدول التالي:

المذهب	عدد التلاميذ في السنة الدراسية (١٩٤٥-١٩٤٦)	عدد التلاميذ في السنة الدراسية (١٩٤٦-١٩٤٧)	عدد التلاميذ في السنة الدراسية (١٩٤٧-١٩٤٨)
السنة	١٢٤٤١	١٣٢٧٩	١٤٥٥٧
الشيعة	٨٩٥١	١١٩٤٢	١٢٠٣٥
دروز	٣٣٠٢	٤٠٦٠	٤٦٠٤
الموارنة	٨١٧٩	١٢٣١٦	١٣٠٠٧
روم ارثوذكس	٥٩٦٦	٧٧١٧	٧٤٠٨
روم كاثوليك	١٧٩٧	٢٧٩٢	٢٦٦٨

بقي التعليم في لبنان يخضع لتأثير الطوائف فمن بين مائة مدرسة ثانوية لا تدير الحكومة سوى خمس مدارس منها، اما المدارس الاخرى فتخضع لأشراف الطوائف الدينية ومعظمها ارساليات.

ومن الملاحظ، ان حقل التعليم شهد تطورا ملحوظا خلال الاستقلال وبرز في سيطرة القطاع الخاص للتعليم وازدياد في التعليم الرسمي لكن هذا الامر يجب ان لا يفسر على انه تقليل من دور الطائفية وتأثيرها في المدارس الرسمية، إذ ان المعلمين هم مواطنون ينتمون الى احدى الطوائف وهم يعينون على الاغلب في مدارس قراهم، وفي اكثر الاحيان يكونون من طوائف تلامذتهم، وهم في هذه الحالة ينقلون مفاهيمهم وقيمهم الى تلامذتهم ويعززونها، فنستنتج من ذلك ان وجود الطائفية في المدارس الرسمية هي اقل من وجودها في المدارس الخاصة، ومن هنا كانت اهمية التربية في بناء المواطن وتطوير مفاهيمه الفكرية والاجتماعية والسياسية واهمية دور المعلم في انتاج مجتمع متماسك موحد الرؤى والمفاهيم.

ومن المعلوم ان حرية التعليم اصبحت مصدرا لكثير من المشاكل السياسية والاجتماعية وتجارة رابحة ولم يعد رسالة انسانية ووطنية وذلك بسبب نسبة الاقساط المدرسية المرتفعة التي كانت لا تتناسب مع الحالة المعيشية للمواطن وبالتالي شكلت عبأ اقتصاديا لأغلبية الشعب اللبناني، مما زادت من تدهور الاوضاع التعليمية في لبنان.

ومن الملاحظ ان الحرية التي منحها الدستور للمؤسسات التربوية والتعليمية في حقلي التعليم والثقافة خلال الفترة (١٩٤٣-١٩٥٨) دفعت بلبنان الى فوضى من الثقافة التربوية واضعفت التربية الوطنية، وادت بالنتيجة الى انعدام التوازن على المستوى التعليمي، فأن تعدد المؤسسات في النظام التربوي وتنوعه اخذ يشكل مصدراً للتصدع في بنية المجتمع اللبناني في تاريخ لبنان المعاصر لسببين : الاول يمثل بنظرة الطوائف الى خريجي مدارس الطوائف الاخرى بعين الارتياب، والثاني يبرز من خلال السماح لكل طائفة ان تغذي ابنائها على نفس قيامها ومفاهيمها من خلال المؤسسات التعليمية التابعة لها التي كانت اسيرة الفكر الطائفي الذي تحكم بأهدافها ومنطلقاتها فقوي الارتباط والولاء لطائفتهم على حساب الارتباط والولاء للوطن .

لقد جاء تعيين المدرسين في ملاك وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة على اساس التوازن طائفي وكانت على الاساس التالي : عبد الكريم البيضاوي (سني)، الياس حنا حداد (كاثوليك)، موريس جرجيس عبيد (ماروني)، اميل مخايل كرم ارثوذكس)، حسن محمد نزهة (شيعي)، وحليم هاني

القنطار (درزي)، بالإضافة الى ذلك نستطيع ملاحظة التوزيع الطائفي رعى شؤون المعاهد الكبوشية وتتولى التربية والتعليم فيها هم جميعاً من الطوائف المسيحية وهذا يعود الى كون المؤسسات التربوية الخاصة ومعاهد التعليم التابعة لها هي مؤسسات طائفية في اهدافها وتعاليمها.

وينبغي أن نشير هنا، ان التعليم اصطبغ بصبغة طائفية شكلت عائقاً كبيراً المواطن الواحد المتجانس كما ان اختلاف رسالة المدرسة اللبنانية يعتبر من اهم عوامل الضعف في تركيبة المجتمع اللبناني فهناك مدارس ذات رسالة مسيحية وهي التي تديرها الارساليات الاجنبية والرهبان والافراد الدائرين في فلكها وتعتمد في اتجاهها على الاثار الغربية ورسالة الكنيسة واثار المسيحين وتعطي الاولوية للغة الغربية، ومدارس ذات رسالة اسلامية تديرها المقاصد والدائرين في فلكها وجاءت كرد فعل على المدارس ذات الرسالة المسيحية، اذ كان اتجاهها عربي تعتمد في نصوصها على نسبة كبيرة من آثار وامجاد العرب وتعطي الأولوية للغة العربية، بالإضافة الى تلك المدارس كانت هنالك المدارس الرسمية التي كانت تتأثر بالأولى أو الثانية حسب موقعها الجغرافي ليست لفئة دون الاخرى رسالتها وطنية وتعبر عن الرأي الرسمي.

وفي الاطار نفسه تفوق عدد الطلاب الموارنة على عدد طلاب بقية الطوائف والسبب في ذلك، ان الطائفية حاولت دون استيعاب التحولات التي تفرضها حركة تطور البنى الاجتماعية، واعتماد ما يناسبها من مفاهيم جديدة، الأمر الذي عرض لبنان لهزات عنيفة من قبل القوى الفاعلة خارج الحكم وفي الواقع، أن مؤسسات الحكم لم تكن قادرة على حسم المسائل النزاعية المحورية وازالة اسبابها لان الحل الذي ارتكزت عليه كمخرج للمسألة الطائفية يقوم على تركيب بنيوي يؤمن مشاركة جميع الطوائف على اساس محدد من التوازنات المتوازية للجماعات الطائفية المختلفة، مما انتج وضعاً يصعب معه تطوير نظام الحكم حتى باتت الطائفية منذ الاستقلال من جهة نظر ناصيف نصار : ايديولوجية الدولة اللبنانية واساساً عاماً للتوازنات والاستقرار هكذا افضت الانتماءات الثقافية والفكرية المختلفة والقائمة على ايديولوجية متنافرة الى علاقة موسومة بسمة التشابك في ظل انتظام دويلات تنتصب الى جانب الدويلات القائمة تتداخل فيها وتشكل القاعدة العقائدية والفكرية لها من خلال عرض التعليم في لبنان في الفترة (١٩٤٣-١٩٥٨) نستنتج بروز اتجاهان مختلفان للتربية والتعليم،

سيطرتا بشكل بارز على المدارس الرسمية والخاصة بكافة المراحل، هما الاتجاه اللاتيني الفرنسي التي تعتنقه الجامعة اليسوعية والاتجاه الانكلو –اميركي الذي تدين به الجامعة الامريكية، فبرزت الجامعة اليسوعية بالأساليب التي تتبعها المدارس الحكومية والاجنبية واللاتينية وبعض المدارس الخاصة المتأثرة بها، في حين برزت الجامعة الامريكية في اساليب المدرسة البروتستانتية الانكليزية والامريكية التي تسير على منهج الجامعة الامريكية، وان الاختيار بينهما في نظر اللبنانيين لا يستند الى الاسس العلمية التي تقوم عليها كل من الجامعتين، وانما تستند الى الاسس الطائفية التي يخضع الطلاب واولياؤهم لها والمذاهب الدينية التي يدينون بها.